مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

التراث اللامادي بمنطقة الريف الشرقي ودوره في تعزيز التنمية المحلية حالة قبيلة تمسمان

سليم احمدوش

باحث دكتوراه في التاريخ والتراث

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز

جامعة سيدي محمد بن عبد الله – المملكة المغربية

مُلَخّص

يشمل التراث اللامادي الممارسات والتقاليد والمعارف التي تنتقل عبر الأجيال ويشكل جزءًا أساسيًا من الهوية الثقافية. في منطقة الريف الشرقي بالمغرب، تتميز قبيلة تمسمان بتراث ثقافي غني يتضمن العادات والتقاليد والفنون والموسيقى واللغة المحلية. هذا التراث يعكس تاريخًا طويلاً من التفاعل الاجتماعي والاقتصادي. ومع ذلك، يواجه التراث تحديات من العولمة والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية السريعة التي قد تؤدي إلى تآكله وفقدانه. لذلك، يأتي هذا المقال ليهتم بالتراث اللامادي ودوره في التنمية المحلية، حيث يمكن أن يكون عاملاً محفزًا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. كما يسعى المقال الراهن إلى فهم دور التراث اللامادي لقبيلة تمسمان في تحقيق التنمية المحلية في منطقة الريف الشرقي من خلال آراء السكان ومواقفهم، ويسلط الضوء على أهمية الحفاظ على هذا التراث واستثماره في العمليات التنموية المحلية. ويمكن التأكيد من خلال دراسة الوضع الحالي للتراث اللامادي في قبيلة تمسمان بالريف الشرقي، وربطه بالدور الذي لعبته هذه العناصر عبر تاريخ الإنسان الأمازيغي الريفي، على أهمية ضرورية لصونها واستثمارها بالشكل المناسب. فهذا التراث يلعب دورًا أساسيًا في تعزيز التنمية المحلية، من خلال تفعيل دوره في القطاع السياحي، وتعزيز الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المنطقة، مما يعزز التفاعل الإيجابي بين السكان المحليين والزوار.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠٩ يناير ٢٠٢٥

تـاريخ قبــول النشــر: ١٦ فبراير ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

التراث اللامادي؛ قبيلة تمسمان؛ الريف الشرقي؛ التنمية المحلية؛ الإنسان الأمازيغي الريفي

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.351603.1203

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

سليم احمدوش. "التراث اللامادي بمنطقة الريف الشرقي ودوره في تعزيز التنمية المحلية: حالة قبيلة تمسمان".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد الحادي والسبعون؛ سبتمبر ٢٠٢٥. ص ٣٩ – ٤٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: sallimahamdouch@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يشكل التراث اللامادي جزءًا أساسيًا من الهوية الثقافية لأي مجتمع، حيث يتضمن مجموعة واسعة من الممارسات والتقاليد والمعارف والمهارات التي تنتقل عبر الأجيال من خلال التفاعل الاجتماعي. هذا النوع من التراث ليس ملموسا كالمباني أو القطع الأثرية، ولكنه ذو أهمية كبيرة في تشكيل الهوية الجماعية والحفاظ على التماسك الاجتماعي والثقافي. وفي منطقة الريف الشرقي من المغرب، تتميز قبيلة تمسمان بثراء تراثها اللامادي، الذي يشمل مجموعة متنوعة من العناصر الثقافية مثل العادات والتقاليد والفنون والموسيقى واللغة المحلية. وتعكس هذه العناصر الثقافية تاريخًا طويلاً من التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والبيئي الذي عاشه سكان هذه المنطقة. ومع ذلك، يواجه التراث اللامادي العديد من التحديات في العصر الحديث، مثل العولمة والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية السريعة، التي قد تؤدي إلى تآكله وفقدانه. لذلك، تأتي هذه الدراسة في سياق الاهتمام المتزايد بالتراث اللامادي ودوره في التنمية المحلية، حيث يمكن أن يكون هذا التراث عاملاً محفزًا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ويمكن للتراث اللامادي أيضًا أن يلعب دورًا مهمًا في تعزيز السياحة الثقافية، حيث يمكن جذب السياح المهتمين بالثقافات والتقاليد المحلية، مما يسهم في تحسين الاقتصاد المحلي وتوفير فرص عمل جديدة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن لدعم الصناعات التقليدية المرتبطة بالتراث اللامادي أن يساهم في تعزيز الاقتصاد المحلي، حيث يمكن أن تكون هذه الصناعات مصدرا مهما للدخل بالنسبة للسكان المحليين. علاوة على ذلك، يسهم الحفاظ على التراث اللامادي في تعزيز الفخر والانتماء بين أفراد المجتمع، مما يعزز الاستقرار الاجتماعي والتنمية المستدامة.

يأتي هذا البحث في سياق التوجه الحالي نحو تعزيز وحماية التراث اللامادي كمورد هام للتنمية المحلية. ويسعى إلى فهم دور التراث اللامادي لقبيلة تمسمان في تحقيق التنمية المحلية في منطقة الريف الشرقي من خلال آراء الساكنة ومواقفهم. وترمي الدراسة أيضًا إلى تسليط الضوء على أهمية الحفاظ على هذا التراث واستثماره في العمليات التنموية المحلية.

أولاً: خطوات منهجية للبحث

١/١-إشكالية البحث

في السنوات الأخيرة، شهد العالم اهتماما متزايدا بالتراث الثقافي كعنصر أساسي للحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز التنمية المحلية، خاصةً في ظل التحديات الحديثة مثل التغيرات الاقتصادية والتقنية. يُعَدّ التراث مصدرًا غنيًا للمعرفة والابتكار، ويمكن توظيفه كأداة فعّالة لجذب الاستثمارات وتعزيز السياحة المستدامة. ومنطقة الريف تمتلك تراثًا ثقافيًا لا ماديًا متنوعا يمثل إرثًا حضاريًا مهمًا، ولكنها تواجه تحديات كبيرة تتعلق بالحفاظ على التراث وتنميته بشكل مستدام. يتطلب الأمر استراتيجيات شاملة تتضمن التعاون بين الحكومات المحلية والمجتمعات المحلية والقطاع الخاص، مع التركيز على الاستفادة الاقتصادية والاجتماعية من التراث بما يحترم البيئة ويعزز الثقافة المحلية. كما يحتل التراث مكانة بارزة في الاستراتيجيات التنموية المحلية والإقليمية، مما يستوجب تنفيذ استراتيجيات متكاملة لإدارته بشكل فعّال كمحرك للتنمية، مع الحفاظ على التوازن بين الاستفادة الاقتصادية والاحترام للسياق الثقافي الهش. وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية الآتية:

– ما هو التراث المادي واللامادي الحالي في منطقة تمسمان؟ وإلى أي حد يمكن لهذا التراث أن يساهم في تعزيز التنمية المحلية؟

٢/١-أهداف البحث

يروم البحث الراهن إلى:

– تعزيز وحماية التراث اللامادي كمورد هام للتنمية المحلية.

– السعي إلى فهم دور التراث اللامادي لقبيلة تمسمان وتأثيره على الهوية المحلية وكذا إسهامه في خلق التنمية المحلية.

٣/١-منهجية البحث

قمنا باعتماد منهجية شملت الاطلاع على المراجع والأبحاث ذات الصلة لإثراء الموضوع، مع التركيز على المعطيات التي تطرقت لمجال الدراسة. بالإضافة إلى ذلك، ركزنا بشكل كبير على العمل الميداني كون الإجابة عن التحديات المعقدة مثل هذه تتطلب الاعتماد على البيانات المستمدة مباشرة من الميدان من خلال عقد العديد من اللقاءات في شكل مقابلات معمقة، التي هدفت إلى فهم شامل لجوانب متعددة من المنطقة المدروسة وجمع معطيات كثيرة ساهمت في بناء الأساس اللازم للبحث.

ثانيًا: قبيلة تمسمان بالريف الشرقي (مجالاً للدراسة)

تتميز قبيلة تمسمان بخصائص طبيعية فريدة توفر موارد ومناظر طبيعية خلابة منذ القدم، وقد تفاعلت هذه المنطقة مع مختلف شعوب البحر الأبيض المتوسط من فينيقيين وقرطاجيين ورومان ووندال...، الذين تركوا إرثًا ثقافيًا مهمًا يساهم اليوم في تعزيز السياحة الثقافية. بالإضافة إلى ذلك، تحمل هذه الموارد الطبيعية أهمية اقتصادية كبيرة، خاصةً الشريط الذي يستقطب السياح من جميع أنحاء المغرب. ترى ما هي الحدود الجغرافية لهذه القبيلة؟ وما هي خصائصها الديموغرافية؟

١/٢-الموقع الجغرافي

تنتمي قبيلة تمسمان تاريخيًا إلى الريف الشرقي، وإداريًا تنمي إلى جهة الشرق وبالضبط إلى إقليم الدريوش. وتضم هذه القبيلة خمس جماعات ترابية هي: جماعة تمسمان، بودينار، بني مرغنين، أولاد أمغار واتروكوت[١]. فيما يخص حدودها الجغرافية، "فيحدها من الشرق قبيلتي أيت وليشك وأيت سعيذ، ومن الغرب تحدها قبيلة أيت وياغل، ومن الجنوب قبيلة آيت توزين أما من الناحية الشمالية فيحدها البحر الأبيض المتوسط"[٢]. وبحكم موقع القبيلة الاستراتيجي المنفتح على البحر الأبيض المتوسط، وساحل يمتد على مسافة ٥٠ كيلومتر هذا الأخير الذي شكل نواة أساسية للجذب السياحي لكون البحر يلعب دور مهمًا في تلطيف مناخ المنطقة ويجعله يمتاز بالاعتدال طوال السنة من جهة، كما أن المنطقة تزخر بالعديد من المميزات الثقافية والتراثية التي تغري الزوار بالتوافد إلى المنطقة ومن ثم تساهم في إقامة سياحة ثقافية.

٢/٢-الخصائص الديموغرافية لقبيلة تمسمان

تمتاز قبيلة بخصائص ديموغرافية تعكس تراثهم الثقافي العميق والمتنوع، ومعظم سكان المنطقة يعبرون عن هويتهم الثقافية من خلال اللغة الأمازيغية الريفية التي تعكس جذورهم الأمازيغية وتفرد تقاليدهم. حيث يُمارس أفراد القبيلة تقاليدهم التي تعبر عن تراثهم العريق بكل فخر، مما يجعلهم يحافظون على هويتهم التي تشكل جزءًا من نمط حياتهم البسيط[٣]. وفيما يلي تطور عدد السكان الجماعات المكونة لقبيلة تمسمان ما بين سنتي ٢٠٠٤ و٢٠١٤.

جدول يمثل تطور عدد السكان المشكلين لجماعات قبيلة تمسمان

	تمسمان	بودينار	بني مرغنين	أولاد أمغار	اتروكوت
إحصاء ٢٠٠٤	١٥٩٣٧	١٠٥٠٤	٧١٥٨	٦٣٤٢	١١٥٤١
إحصاء ٢٠١٤	١٤٩٣٧	٩٩٠٦	٧٠٨٧	٦٠١٠	١١٦٤٥

مونوغرافيات جماعات إقليم الدريوش

تشير المعطيات الديموغرافية للجماعات المشكلة لقبيلة تمسمان في الريف الشرقي من المغرب بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠١٤ إلى تغيرات سكانية ملحوظة. شهدت جماعات تمسمان وبودينار وأولاد أمغار انخفاضا في عدد السكان، بينما حافظت بني مرغنين على استقرار نسبي. في المقابل، شهدت اتروكوت زيادة طفيفة في عدد السكان. هذه التغيرات قد تكون نتيجة للهجرة أو التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة.

ثالثًا: المفاهيم المؤطرة للبحث

يُعَدّ التدقيق في المصطلحات الأساسية التي ترتكز عليها هذه الدراسة أمرًا بالغ الأهمية، إذ يسهم في فهم عميق للمفاهيم التي تنطوي عليها الدراسة

واستخداماتها المختلفة، وكذلك الروابط والعلاقات المتداخلة بينها. في هذا السياق، يتعين تسليط الضوء على مفهومي التراث الثقافي غير المادي والتنمية المحلية، نظرًا لأنهما يمثلان جوهر هذه الدراسة ويشكلان الأساس الذي تقوم عليه، فالتأمل في دلالات هذين المفهومين وكيفية تفاعلهما يمكن أن يعزز من إدراكنا للموضوعات المطروحة وأبعادها المتعددة، مما يسهم في تقديم تحليل دقيق وشامل

١/٣-التراث اللامادي:

(المفهوم والخصائص)

(١/٣) ١-تعريف التراث اللامادي

إن مصطلح التراث اللامادي مصطلح جديد لا تكاد دلالته تصل إلى كثير من المثقفين، وذلك لحداثة تداوله في الأوساط الثقافية العربية، ويعود تاريخ ظهور بشكل رسمي بداية الثمانينيات، وبالضبط خلال إعلان المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية لعام ١٩٨٢، المعروف باسم "Mondiacult" الذي أقيم أول مرة في ميكسيكو سيتي، والذي يعرف الثقافة باعتبارها "المجموعة الكاملة من السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية المميزة التي تميز المجتمع أو المجموعة الاجتماعية. فهو لا تشمل الفنون والآداب فحسب، بل تشمل أيضًا أنماط الحياة والحقوق الأساسية للإنسان وأنظمة القيم والتقاليد والمعتقدات"[٤]. ويقصد به حسب الاتفاقية المتعلقة بصون التراث الثقافي غير المادي التي اعتمدتها منظمة اليونسكو الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف والمهارات- وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية- التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءًا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلاً عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بالهوية والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية. وعليه، يتجلى التراث الثقافي غير المادي في مجالات متعددة من بينها التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن هذا التراث، والفنون والتقاليد وأداء العروض، والممارسات الاجتماعية، والطقوس والاحتفالات، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية"[٥].

وعليه، فالتراث غير المادي يشمل كل التقاليد وأساليب المعيشة الموروثة من الأسلاف والمنقولة إلى الأبناء[٦]، كالتقاليد وأشكال التعبير الشفوية وفنون الأداء مثل الموسيقى والرقص الشعبي والمناسبات الاحتفالية والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون والمعرفة والمهارات اللازمة لطرق الطهي وإنتاج الحرف التقليدية[٧].

(١/٣) ٢-خصائص التراث اللامادي

يبدو أن التعريف المقدم للتراث اللامادي واسع وشامل بما يكفي ليغطي أشكالاً متعددة من عناصره. ويتميز هذا التعريف بعدة خصائص تجعله أكثر مرونة وشمولية، مما يسمح له بالاحتواء على مختلف جوانب التراث الثقافي غير المادي، ومن أبرز هذه الخصائص[٨] نذكر ما يلي:

- لامادية عناصره حيث التراث اللامادي يتميز بكونه غير مادي، مما يعني أنه لا يمكن للأشخاص لمسه أو رؤيته بشكل مادي بسيط، بل يتم التعبير عنه من خلال الأداء أو الشعور أو الإبداع.
- طبيعته الديناميكية والمتغيرة التي تعكس التراث اللامادي التغيرات الثقافية والاجتماعية عبر الزمن، حيث يتطور ويتكيف مع البيئة والتغيرات المجتمعية.
- الترسيخ الثقافي والهويّة إذ يسهم التراث اللامادي في تعزيز الهوية الثقافية للمجتمعات والأفراد، ويعكس قيمهم ومعتقداتهم وممارساتهم اليومية ومن ثم احترام التنوع الثقافي.
- التركيز على الفردية والجماعية :يمكن أن يكون التراث اللامادي مرتبطا بالأفراد وممارساتهم الفردية، ولكنه أيضًا يمكن أن يكون جماعيا حيث يشمل مجموعات واسعة من الناس .
- النقل حيث ينتقل التراث اللامادي عبر الأجيال من خلال الأساليب التقليدية للتعليم والتدريب، مما يحافظ على استمراريته ونقله.

٢/٣-مفهوم التنمية المحلية

تهدف التنمية المحلية إلى تعبئة جميع الفاعلين والمتدخلين لتحقيق إدارة جيدة للتراب، بهدف تلبية متطلباته مع التركيز على الرهانات الداخلية والخارجية. تسعى هذه التنمية إلى تعزيز نقاط القوة في المجال وتقليص نقاط الضعف. وبهذا الشكل، تُعتبر أسلوبًا من أساليب التدخل السياسي التي تمنح للتراب قيمة أساسية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وتسعى التنمية المحلية إلى تجميع الجوانب المختلفة التي تهم المجال الترابي لتحقيق تنمية شاملة ومستدامة ترفع من مستوى الوحدات الترابية، بهدف تحسين نوعية حياة السكان وتلبية احتياجاتهم الأساسية في مجالات الصحة والتعليم والبنية التحتية مثل الطرق والكهرباء والمياه الصالحة للشرب[٩]. "أصبحت السياسات التنموية بمثابة حركة وتوجه عام يتزايد باستمرار في جميع أنحاء العالم، لمواجهة آثار العولمة المتنامية التي تسهم في تدمير الهويات والثقافات المحلية وتعميق الفوارق الاجتماعية والمجالية"[١٠].

عمومًا، يمكن القول إن التنمية المحلية تسعى إلى تحسين إدارة الموارد المتاحة وتعزيز التنمية المستدامة لمختلف المجتمعات البشرية، بهدف تحسين جودة الحياة وتلبية الاحتياجات الأساسية، ومواجهة تحديات العولمة التي تهدد الهويات المحلية وتزيد الفوارق الاجتماعية.

٣/٣-التراث اللامادي كمورد للتنمية المحلية

يُعَدّ التراث اللامادي عامل مهم بل محوري في التنمية، ولابد من أي تنمية تستهدف المناطق أن تأخذ في الحسبان هذه المسألة، خاصةً وأن منطقة تمسمان تجمع بين التراث المادي واللامادي، و"تقوم فلسفة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) على المحافظة على هذا التراث، والاستثمار فيه بوصفه أحد آليات التنمية"[١١]، وتسعى العديد من دول العالم اليوم إلى إعادة الاهتمام بالشأن الثقافي، باعتباره مفتاحا أساسيا لتحقيق التنمية المستدامة، ونشر قيم العدالة والمساواة والتنوع، وترسيخ المحبة والأمن والاستقرار والتسامح والتعايش بين الشعوب لمواجهة العنف والتطرف والصراعات المدمرة. كما يُعَدّ الثقافة عاملا محركا للإبداع والتنمية الاقتصادية وخلق الثروة[١٢]. الرهان في المستقبل هو تشجيع الإنتاج الثقافي، حيث من المتوقع أن يكون القرن القادم قرنًا ثقافيًا بامتياز، خلافًا للقرن العشرين الذي تميز بالعسكرية والسياسة، والقرن الواحد والعشرين الذي يتميز بالاقتصاد. من يملك ناصية الثقافة سيكون قادرًا على السيطرة والتغلب. عدم الاهتمام بالتراث يؤدي إلى تدمير ونهب وضياع ثروات هامة، وهو أخطر من إهدار الثروات الطبيعية. الاهتمام بالتراث يسهم في ربط اللحمة الوطنية، وترسيخ الهوية، والحفاظ على الاستقلال بمعناه الواسع، كونه مصدر إلهام وفخر واعتزاز في مواجهة تهديدات العولمة للعديد من الكيانات[١٣].

وفي هذا الصدد يمكن القول، أن الحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى، إلى إعداد مجموعة من التوازنات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تتماشى والبنود التشريعية بين مختلف الشعوب والدول، حيث تعمل هذه الأخيرة على تحقيقها عبر عدة مؤسسات وهيئات وطنية منها ودولية. علاوة على ذلك، أصبح للتنمية دورًا كبيرًا في فرض عدة تدابير قانونية من خلال إيجاد عدة حلول تهدف إلى وضع مسارات لحفظ وتثمين التراث اللامادي من أجل استغلال مختلف الثروات التي لها علاقة بحياة الإنسان في بيئته الاجتماعية والثقافية"[١٤].

رابعًا: واقع التراث اللامادي بقبيلة تمسمان من خلال نتائج الدراسة الميدانية

للتراث الثقافي اللامادي دورًا هامًا في تعزيز التنمية في مكان تواجده، فهذا الموروث الثقافي بكل أشكاله يمكن أن يدفع بالتنمية بكل عناصرها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية إلى الأفضل، ويساهم كعامل أساسي في تحديد الوظائف الاجتماعية وإعادة إحيائها عبر الأجيال والمحافظة على الهويات الثقافية للمجتمعات ناهيك عن تحقيق التنمية المحلية وتعزيزها، كما يشكل أيضًا مصدرًا أساسيًا لتفعيلها من خلال توفير فرص عمل في مختلف القطاعات من قبيل القطاع السياحي والترويج للحرف التقليدية والتفاعل بين ثقافات المحلية وخلق الاحترام بينها. ولقبيلة

تمسمان بالريف الشرقي موارد ثقافية شأنها شأن باقي المناطق الأخرى التي تشكل قبلة للعديد من الزوار سواء بالمناطق المجاورة للقبيلة أو من مناطق مختلفة بالمغرب، من أجل الاستجمام أو الاستشفاء والتبرك بالمنابع المائية أو للاطلاع على الثقافة المحلية في شموليتها...إلخ.

وعلى الرغم من هذه الموارد الثقافية كلها فالتنمية المحلية ليست لها مكانة قوية داخل المنطقة، ويعود ذلك إلى انعدام تصور واضح لاستثمار هذه الموراد من طرف القائمين على الشأن المحلي الثقافي بالمنطقة، من خلال خلق بنية تحتية مؤهلة وإنشاء مراكز الإرشاد والتوجيه لاستقبال الزوار وتوجيههم إلى أماكن احتضان العناصر التراثية بالمنطقة. ومن أجل الكشف عن بعض ملامح التراث اللامادي بالمجال المدروس "حالة قبيلة تمسمان" والتعرف على الوسائل الممكنة التي تساهم في عجلة التنمية بها، ركزنا في دراستنا هذه على معاينات ميدانية بغرض استقصاء آراء السكان حول العناصر المتدخلة لاستثمار العناصر التراثية وبالخصوص غير المادية منها في تعزيز التنمية.

وقد تناولت أسئلة المقابلة الجوانب الآتية:

١/٤-تعريف التراث اللامادي حسب آراء الساكنة المحلية

هو كل العناصر التي تدل على أشياء موروثة من الأسلاف والتي تحمل في طياتها الأبعاد الثقافية والتاريخية للمنطقة بمعناها الشامل، ويعني كذلك القيم التي يتم تعلمها بسهولة عبر الأجيال، وتشمل هذه العناصر: الأمثال، الحكم، الأحاجي، المعارف الفلاحية والحرفية، الخبرات الاستشفائية، والطقوس الاحتفالية.

٢/٤-عناصر التراث اللامادي المتواجدة بقبيلة تمسمان حسب آراء المستجوبين

مجال التراث اللامادي	عناصره
تقاليد أداء العروض الفنية	رقص محلي: شْظيحْ، أرَّايْسْ، رَعْياثْ/ ...
أشكال التعبير الشفهي	غناء محلي: إزْرانْ/ تعبير شفهي: أمثال، حكايات، حكم.../
الطقوس الاستشفائية	طب شعبي: كي، الأعشاب الطبية، التبرك بالمنابع المائية، زيارة الأضرحة والزوايا...
الممارسات الاجتماعية والطقوس الاحتفالية	ثويزة، العنصرة، الألعاب الشعبية، جني الزيتون، طقوس دورة الحياة: طقوس الزواج، العقيقة، الختان، مراسيم الدفن ...
المنتوجات التقليدية	تربية النحل، ءيزيبان، زمبو، كسكس: طعام، ...
المهارات الحرفية	الفخار الريفي: ثْراخْثْ، السلات، الخشب: الأواني الخشبية...

المصدر: البحث الميداني

من خلال المعطيات الواردة في الجدول يتبين لنا أن عناصر التراث اللامادي لقبيلة تمسمان في الريف الشرقي تتنوع بين تقاليد أداء العروض الفنية مثل رقصات شْظيحْ وأرَّايْسْ ورَعْياثْ، وأشكال التعبير الشفهي كالغناء المحلي إزْرانْ مثلاً، والأمثال والحكايات، والطقوس الاستشفائية باستخدام الطب الشعبي كالأعشاب الطبية والكي، والممارسات الاجتماعية والاحتفالية مثل ثويزة، العنصرة، وطقوس دورة الحياة كالزواج والختان. وتتضمن أيضًا المنتوجات التقليدية مثل تربية النحل وإعداد الكسكس (طْعامْ)، والمهارات

الحرفية كالفخار الريفي وصناعة السلات والأواني الخشبية. تعكس هذه العناصر هوية المجتمع الثقافية وتحافظ على تراثه العريق.

٣/٤-العناصر التراثية الأكثر جذبًا للزوار حسب آراء الساكنة المحلية

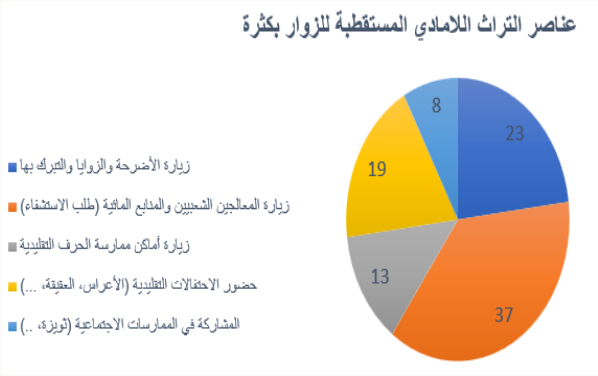

المصدر: البحث الميداني

يبدو من خلال المعطيات الواردة في المبيان أعلاه، أن طلب الاستشفاء يشكل العنصر التراثي الأكثر استقطابا للزوار حسب آراء ساكنة القبيلة مجال الدراسة نظرا لتوارثهم تقاليد وعادات علاجية قديمة تعتمد على الطب الشعبي والأعشاب والتدليك والحمامات التقليدية والكي بنسبة بلغت ٣٧%. فيما حصلت زيارة الأضرحة والتبرك بها المرتبة الثانية بنسبة ٢٣% إذ يعتقد الزائرون أن الأضرحة تجلب البركة والشفاء وتحقيق الأمنيات، مما يعزز إيمانهم ويقربهم من الله. كما تعكس هذه الزيارات جزءًا من التراث الثقافي والتقاليد المجتمعية، حيث تنتقل من جيل إلى جيل وتشكل جزءا من الهوية الثقافية للمجتمع. بالإضافة إلى ذلك، تساهم الأضرحة في تعزيز التواصل الاجتماعي. تُعتبر الأضرحة أيضًا وجهات للسياحة الدينية، مما ينعش الاقتصاد المحلي ويجذب الزوار من مختلف المناطق. وبالنسبة لبعض الأشخاص، فإن زيارة الأضرحة توفر لهم السلام الداخلي والراحة النفسية، مما يساعدهم على تجاوز التحديات الشخصية.

وبعدها احتلت الاحتفالات الاجتماعية التقليدية المرتبة الثالثة بنسبة ١٩% حيث تكون هذه الاحتفالات فرصة للتواصل الاجتماعي واللقاء بين أفراد المجتمع، مما يقوي الروابط الاجتماعية ويعزز التلاحم بين الناس من جهة. وتعتبر وسيلة للحفاظ على التراث الثقافي ونقله من جيل إلى جيل. من خلال المشاركة في هذه الاحتفالات، يتعلم الشباب عن تقاليد وأساليب حياة أجدادهم ومن ثم تساعدهم على تعزيز هويتهم الثقافية والشعور بالانتماء إلى مجتمعهم والفخر بتاريخهم وثقافتهم. من جهة ثانية. أما الحرف التقليدية فالإقبال عليها قليلاً مقارنة بالعناصر التراثية الأخرى، حيث بلغت نسبة الزوار لأماكن ممارسة هذه المهارات الحرفية ١٣%، وهو ما يعني أن هذه الممارسة في طريقها إلى الاندثار شأنها شأن بعض الممارسات الاجتماعية كثويزة والعنصرة وغيرهما.

٤/٤-عناصر التراث اللامادي الأكثر مساهمة في تنمية المنطقة في نظر الساكنة

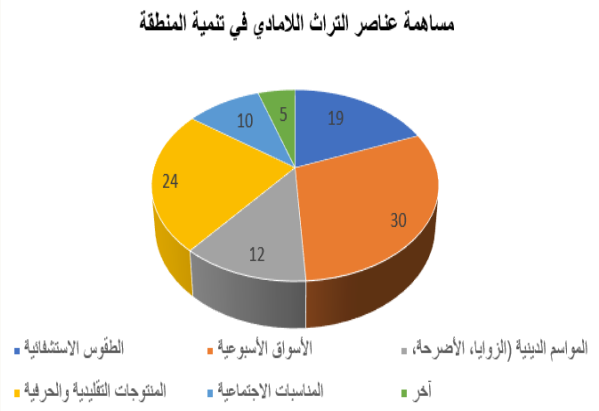

المصدر: البحث الميداني

يُظهر المبيان أن الأسواق الأسبوعية تمثل أهم عناصر التراث اللامادي في تنمية المنطقة من منظور الساكنة المحلية، إذ تُسهم بشكل كبير في تنشيط الحركة التجارية وتوفير دخل إضافي للسكان، بالإضافة إلى تعزيز التواصل الاجتماعي والتبادل الثقافي. بعدها تأتي المنتوجات الحرفية والتقليدية في المرتبة الثانية، حيث تعكس التراث الثقافي والفني وتوفر فرص عمل للسكان المحليين، مما يُعزز الاقتصاد المحلي ويجذب السياح. كما تلعب المناسبات الاحتفالية، مثل الأعياد والمهرجانات الثقافية، دورًا هامًا في تعزيز الروح الجماعية والاحتفال بالتراث الثقافي، مما يزيد من السياحة الداخلية. علاوة على ذلك، تحتل المواسم الدينية المرتبة الرابعة من حيث

مساهمتها في التنمية المحلية، إذ تُعزز الروابط الروحية والدينية وتساهم في تثبيت القيم والتقاليد الدينية، وتشكل فرصة لتعزيز السياحة الدينية. أخيرا، تُسهم المناسبات الاجتماعية، مثل حفلات الزفاف والاحتفالات العائلية، في تعزيز الروابط الاجتماعية ونقل الثقافة المحلية إلى الأجيال القادمة. مجمل هذه العناصر يُسهم بشكل فعال في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمنطقة، مما يعكس أهمية الحفاظ على التراث اللامادي وتعزيزه لضمان استدامة التنمية المحلية.

٤/٥-الفرص المتاحة لاستثمار التراث اللامادي في تعزيز التنمية المحلية

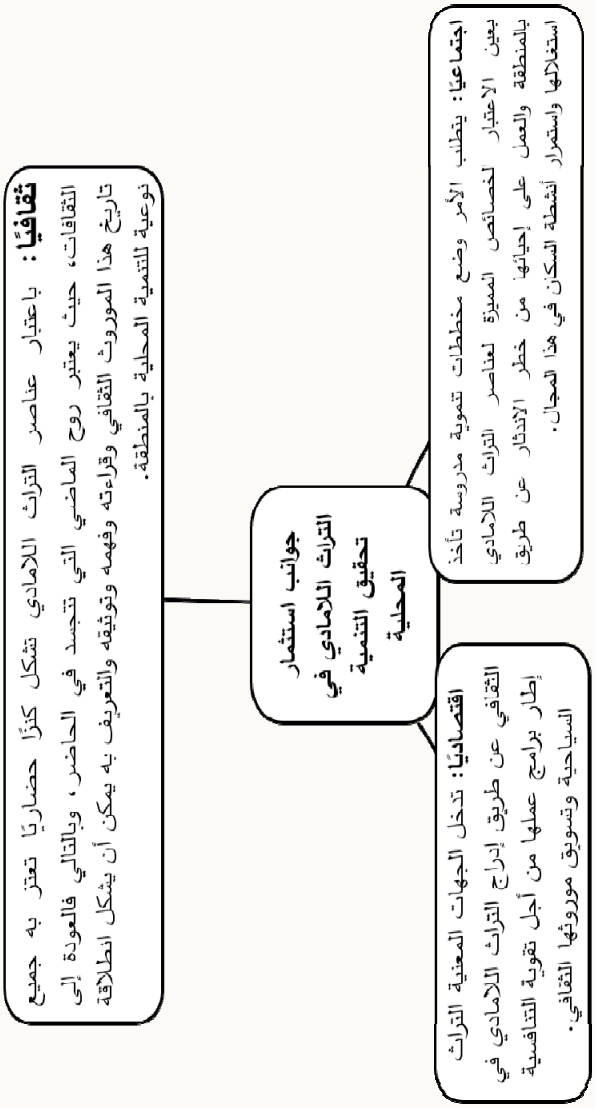

استنتاجات الدراسة

من خلال دراستنا، تبين أن منطقة الريف الشرقي تحتضن مجموعة غنية ومتنوعة من العناصر اللامادية لتراثها الثقافي، بما في ذلك التقاليد الشفهية والفنون التقليدية والممارسات الاجتماعية التي تعكس تاريخًا يمتد لعدة أجيال.

يعتبر التراث اللامادي في منطقة الريف الشرقي، وخاصة في قبيلة تمسمان، عنصرًا حيويًا في تعزيز التنمية المحلية. يُسهم هذا التراث في الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز الانتماء الجماعي والفخر بالتراث المحلي، مما يعزز من تماسك المجتمع. كما يُشكل مصدرًا مهمًا للتنمية الاقتصادية من خلال السياحة الثقافية، حيث يمكن أن يجذب الزوار ويوفر فرص العمل ويزيد من الإيرادات المحلية.

وقد سجلت الدراسة أيضًا أن التنمية القائمة على التراث اللامادي يجب أن تكون مستدامة وموجهة نحو تحسين حياة السكان المحليين. من خلال الاستثمار في التدريب والخبرة يمكن للمجتمع المحلي أن يستفيد بشكل مباشر من تراثه الثقافي.

توصلت الدراسة إلى أن الأسواق الأسبوعية، التي تضم منتجات تقليدية، تُعَدّ من أبرز عناصر التراث اللامادي التي تسهم في تعزيز التنمية المحلية. تقوي هذه الأسواق الروابط الاجتماعية وتشجع على جذب السياحة المستدامة.

خَاتِمَةٌ

يمكن التأكيد من خلال دراسة الوضع الحالي للتراث اللامادي في قبيلة تمسمان بالريف الشرقي، وربطه بالدور الذي لعبته هذه العناصر عبر تاريخ الإنسان الأمازيغي الريفي، على أهمية ضرورية لصونها واستثمارها بالشكل المناسب. فهذا التراث يلعب دورًا أساسيًا في تعزيز التنمية المحلية، من خلال تفعيل دوره في القطاع السياحي، وتعزيز الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المنطقة، مما يعزز التفاعل الإيجابي بين السكان المحليين والزوار.

توصيات الدراسة

- توعية جميع فئات المجتمع الريفي بأهمية جمع وتوثيق وتصنيف عناصر التراث الثقافي اللامادي للمنطقة.
- إلزامية إشراكهم في جهود الحفاظ على هذا التراث الثمين.
- تنظيم عروض ثقافية ومعارض في مناطق مختلفة من الريف، تتيح للأفراد والجماعات عرض وتبادل عناصر تراثهم بفاعلية والترويج لها.
- دعم المشاريع الصغيرة والمبادرات الريادية من خلال تقديم دعم مالي وفني للأفراد والجمعيات المحلية لتطوير وتسويق المنتجات ذات الصلة بالتراث اللامادي، مما يعزز الدخل المحلي ويشجع على الابتكار.
- تعزيز السياحة الثقافية المحلية عن طريق تنظيم فعاليات ثقافية محلية وجولات سياحية تعرض التراث اللامادي وتجذب الزوار، مما يعزز الوعي بالتراث ويدعم الاقتصاد المحلي.
- تطوير استراتيجيات الحفاظ على التراث من أجل تعزيز جهود الحفاظ على الممارسات والتقاليد التقليدية من خلال برامج دعم الحفاظ والتوعية بأهمية التراث الثقافي.
- الترويج والتسويق الفعّال منعن باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا للترويج للتجارب والمنتجات المتعلقة بالتراث اللامادي، وتعزيز الوعي بأهميتها للمجتمع المحلي والزوار.

الإحالات المرجعية:

(١) موسى أفرماس وسليم احمدوش، "**قبيلة تمسمان بالريف المغربي: التاريخ والثقافة والمجتمع**"، ضمن: الريف التاريخ والمجال والإنسان، إعداد وتنسيق: أيوب الشاوش ونور الدين أحميان، دار القلم، الرباط، ٢٠٢١، ص ٨٠-٨١.

(٢) موسى أفرماس، "**الثقافي بالريف المغربي: الأضرحة والزوايا بقبيلة تمسمان أنموذجًا**"، ضمن: القبيلة المغربية المجال والتاريخ والتراث، مراجعة وتقديم: محمد دحمان، تنسيق: جواد التباعي وآخرون، مركز رؤى للدراسات والأبحاث، مطبعة وراقة بلال، فاس، ج٢، ط١، ٢٠٢٢، ص ١١.

(٣) أوجيست موليبراس، **المغرب المجهول: اكتشاف الريف**، الجزء الأول. ترجمة: عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز نْ أريف، مطبعة الحمامة تطوان، الطبعة الثانية، ٢٠٢١، ص ١٣١- ١٣٦.

(4) Federico Lenzerini (2011): «Intangible Cultural Heritage: The Living Culture of Peoples», The European Journal of International Law, Vol. 22, p : 104.

(٥) المادة ١٢ الفقرة ١٢ من االتفاقية المتعلقة بصون التراث الثقافي غير المادي لعام ٢٠٠٣.

(٦) منزري ابتسام وآخرون، "**دور التراث الثقافي في دعم وتنمية السياحة: دراسة حالة تركيا**"، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٢٢، ص ٢٥٦-٢٧٦.

(7) Skounti, Ahmed, « Le patrimoine culturel et le tourisme au Maroc et à Marrakech ». Communication interculturelle, patrimoine et tourisme, publication de la FLSHM, p : 81.

(٨) حسام عبد الأمير خلف، "**تحولات الحماية للتراث الثقافي في القانون الدولي: من المادية إلى اللامادية: تطور مفاهيم**"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية، مج ٩، ع٢، ٢٠١٩، ص ٣٠٢.

(٩) نسرين بنرباح، **"تثمين استثمار التراث المادي واللامادي في تنمية السياحية الجبيلية المستدامة: نموذج جماعة مقريصات إقليم وزان"**، مجلة المجال والتنمية، العدد ٤، مطابع الرباط نت، ٢٠١٩، ص ٣٣١.

(١٠) المختار الأكحل، **"أية منهجية لتدخلات العمومية من أجل التنمية المحلية بالمجالات البورية. هضبة بن سليمان"**، ندوة: مناهج البحث في الوسط الريفي الغربي، تنسيق موسى الكرزازي. نقلاً عن: نسرين بنرباح، مجلة المجال والتنمية، نفس المرجع.

(١١) اليونسكو، **الحفاظ على التراث العالمي قاطرة التنمية المستدامة: أخبار الأمم المتحدة**، على الرابط التالي: https://news.un.org/ar/audio/2018/01/376222

(١٢) عبد الرزاق التجاني، **راهنية التراث في عالمنا المعاصر**، جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠، ٢٠٠٦، https://aawsat.com/home/article/781471 (تاريخ الاطلاع: ٠١.٠٧.٢٠٢٤)

(١٣) مبارك جعفري، **التراث المادي واللامادي ودوره في خدمة التنمية المستدامة بتوات**، مداخلة ألقيت في المؤتمر الدولي الموسوم بـ "الموروث الثقافي والسياحي ودوره في خدمة التنمية المستدامة" يومي ١١و ١٢ نونبر، ٢٠٢٠، جامعة أحمد دراية-أدرار، ص٥.

(١٤) عبد الكريم خبزاوي، "**التراث اللامادي حمايته وتثمينه، وأبعاده المستدامة**"، مجلة عصور، العددان ٣٤-٣٥، ٢٠١٧، ص ٢٠.